السفر الثالث من كتاب الكشاف

عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل

في وجوه التأويل تصنيف جار الله

الإمام العلامة فخر خوارزم شيخ العجم والعرب محمود بن عمر الزمخشري رضي الله عنه

والحمد لله على كل حال من الأحوال

وصلواته على محمد وآله وصحبه وآله

(١٥)

المكتبة العامة التونسية
المكتبة الكبرى العمومية
الجامعة الوقفية
في ربع الجامع الصادقية

بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر وأعن يا كريم

سورة مريم مكية وهي تسعون وثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم بفتح الها
وكسر الياء حمزة رضي الله عنه وبكسرهما عاصم رضي الله عنه وبضمهما الحسن
رضي الله عنه وقرأ الحسن **ذكر رحمة ربك** اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك وبكر
وقرئ ذكر على الامر **زاعي** سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان
فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص وعن الحسن رضي الله عنه
ندا الرياء فيه واخفاه ليلا بلام على طلب الولد في اثبات الكبر والشيخوخة واسره من
مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته
خفات وشعبه نارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون
وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون فرئ **وهن** بالحركات الثلاث وانما ذكر
العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن داعى وتساقطت قوته
ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووجه لان الواحد هو
الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما
تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه
بعض عظامه ولكن كلها ادغام السنن في الشن عن ابي عمرو رضي الله عنه **وشتعل**
الشيب شبه اطراء النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل
مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر
ومنبته وهو **الراس** واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفاء بعلم المخاطب انه
راس زكريا عليه السلام فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل الى الله تعالى بما لحق
سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذي احسنت الي
وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته **كان** مواليه وهم عصبته خوفا
وتوا عمه شرارا بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه والا حسنوا الخلافة على امته
فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين ويترسم مراسمه فيه **من ورائي** بعد موتي
وقرأ ابن كثير من ورائي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف

فعل

او بمعنى الولاية في الولاية الموالي اي خفت الموالي وهو يندرج لهم وسوء خلافتهم من ورائي
او خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرأ حمزة عثمن ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم
خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين احدهما ان يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق
الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرثه
والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق فيهم من
يقوم واعتضاد **من لدنك** تأكيد لكونه **ولي** مرضيا لكونه مضافا الى الله عز وجل
وصادرا من عنده والا فهب ولي يرثني كاف واراد اختراعا منك بلا سبب كاني
وامرأتي لا تصلح للولادة **يرثني ويرث** الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه رد اضل فتى
وعن ابن عباس والحسن يرثني وارث **آل يعقوب** نصب على الحال وعن الحسن يرثني ويرث
على تصغير وارث وقال علم صغير وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب
اي يرثني به وارث ويسمى الحديد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان
الانبياء لا يورثون المال وقيل يرث الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثه
وورث منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا
علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل
يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمن بن داود عليه السلام **سميا** لم يسم احد يحيى
قبله وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع حديثة لا اثرة وانما هاجت العرب تسمي في
السمية لكونها ابنة وابوه وانزه عن النبز قال القائل في مدح قوم

شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب ٥ وقال رؤبة للشابة الكري

وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت في عرفت وقيل مثلا وشبها عن مجاهد
كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم
المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى واسمائهم يعبر
ويعيش ان كانت السمية عربية وقد سموا بموت ايضا وهو يموت بن المزرع ٥ قالوا لم
يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخين فان وعجوزين عاقرين وانه كان
حصورا اي كانت على صفة العقر حين اشاب وكهل مما رزقت الولد لاختلال الحد
السببين الحين اختل السببان جميعا ارزقه **فان قلت** لم طلبا ولدا وهو امرأته

الا من هو ضال مثلكم او يكون في اسلوب قوله ش
ه فايك والكتاب الى علي كدابغه وقد حلم الاديم ش وقرا الحسن ضال الجحيم بضم
اللام وفيه ثلثه اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واو لالتقا الساكنين ه ولام
التعريف فان قلت كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد
اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والضالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل
على لفظ من ومعناه في ايه واحده والثاني ان يكون اصله ضايل على القلب ثم يقال
ضال ه مثايل كقولهم شاك في شايك والثالث ان يحذف لام ضال تخفيفا ويجري
فيه
الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به باله واصلها باليه من بالى كغا
من غاى ونظيره قراه من قراى وحنى الحنتن دان وله الجوار المنشات باجرا الاعراب
على العين وما منا احد الا له مقام معلوم فحذف الموصوف واقيمت الصفه مقامه
كقوله ش انا ابن جلا وطلاع الثنايا ش يكفي كان من ارمى البشر ه مقام معلوم
مقام في العباده والانتها الى امر الله مفصور عليه لا يتجاوزه كما روي منهم راكع لا
يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه لنحن الصافون نصف اقدامنا في الصلوه او
اجنحتنا في الهوا منتظرين ما نومر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمومنين وقيل
ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوه منذ نزلت هذه الايه وليس يصطف احد من اهل
الملل في صلاتهم غير المسلمين المسبحون المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا
وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملايكه حتى يتصل بذكرهم في قوله
ولقد علمت الجنه كانه قيل ولقد علم الملايكه وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في
مناسبه رب العزه وقالوا سبحان الله ونزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين
المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفره فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لا تقدرون ان
تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقدرهم
وارادته تعلى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف يكونون مناسبين
لرب العزه وجمعنا واياه حنسه واحده وما نحن الا عبيد اذ لا بين يديه لكل منا
مقام معلوم من الطاعه لا يستطيع ان يزل عنه طرفا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله
ونحن الصافون اقدامنا لعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين مستحسن محدثين وكما يجب
على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلعم يعني وما من المسلمين احد الا له مقام
معلوم

معلوم يوم القيمه على قدر عمله من قوله تعلى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر
اعمالهم وانهم هم الذين يصطفون في الصلوه ويسبحون الله وينزهونه مما ينسب اليه
من لا يعرفه مما لا يجوز عليه هم مشركوا قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا
اي كتابا من كتب الاولين الذين ترك عليهم التوراه والانجيل لاخلصنا العباده لله
ولما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار
والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به وبحقه فلما جاءهم نذير ما زادهم
الا نفورا فسوف يعلمون مغبه تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففه
من الثقيله واللام هي الفارقه وفي ذلك انهم كانوا يقولونه موكدين للقول جادين
فيه فلم يزل اول امرهم واخره الكلمه قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا
لهم الغالبون وانما سماها كلمه وهي كلمات عده لانها لما انتظمت في معنى واحد
كانت في حكم كلمه مفرده وقرى كلماتنا والمراد الموعد بغلبهم على عدوهم في مقاوم
الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الاخره كما قال تعلى والذين اتقوا فوقهم
يوم القيمه ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبه
كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبه وكفى بمشاهد رسول الله صلعم والخلفا الراشدين
مثلا يحتذى عليها وغيرا يعتبرها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها
ولان قاعده امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصره وان وقع في تضاعيف ذلك
شوب من الابتلا والمحنه فالحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا ينصروا في
الاخره وفي قراه ابن مسعود رضي الله عنه على عبادنا على يصمن سبقت معنى حقت فتول
عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مده يسيره وهي مده الكف عن القتال
وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى القيمه وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر
والقتل والعذاب في فسوف يبصرون ذلك وما يقضى لك من النصر والتابيد والثوات في
العاقبه والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظره الموعوده الدلاله على انها كايينه
واقعه لا محاله وان كينونتها قريبه كانها قدام ناظريك في ذلك تسليه له وتنفيس عنه
وقوله فسوف يبصرون للوعد كما سلف لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم بعد
ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصحايهم فلم يلتفوا الى انذاره ولا اخذوا
اهبتهم ولا ادبروا امرهم تدبر ابجيهم حتى اناخ بفنايهم بغته فشن عليهم الغاره وقطع دابرهم

عدد صحائف ٤٣٢
عدد ترتيب ٢١٧

وكانت غاده معاويه بهم ان يغيروا صباحا فسميت الغاره صباحا وان وقعت
في وقت اخر وما فصحت هذه الايه ولا كانت لها الروعه التي تحس بها وترى فكر
موردها على نفسك وطبعك لا لمجيها على طريقه التمثيل وقرا ابن مسعود فبئس صباح
وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على
ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم يحتمل
ان المنذرين والمراد ساء وبئس تقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلعم يوم الفتح
بمكه وعن انس لما اتى رسول الله صلعم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم
المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلعم الله اكبر خربت خيبر انا
اذا نزلنا بساحه قوم فساء صباح المنذرين وانما ثنى وتول عنهم لكون سلية على تسليه
وتاكيدا لوقوع المتعادل الى تاكيد وفيه فايده زايده وهي اطلاق الفعلين معا
عن القيد المعقول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسره
وانواع المساه وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالاخر عذاب الاخره اضيف
الرب الى العزه لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزه كما تقول صاحب صدق لاختصاصه
بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزه لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو
ربها ومالكها كقوله تعز من تشا اشتملت السوره على ذكر ما قاله المشركون
في الله ونسبوه اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبه
من النصره عليهم فحتمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه المشركون والتسليم
على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض
تعليم المومنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه وصودعات
قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر
يوم القيمه فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزه الى اخر السوره
عن رسول الله صلعم من قرا الصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان
وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه انه يوم القيمه انه
كان موسنا بالمرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين
كل وقت وحين تم الجزء الثالث من الكشاف من اربعه بحمد الله
ومنه فله الحمد كثيرا دايما في العشر الاخرى من شهر شعبان من شهور سنه اربع وستين وثمانمايه

المكتبة العامة الكتب الوقفية في جامعة صنعاء